kalima-11.qxd 2/24/2008 10:05 PM Page 16

شفاعة يسوع المسيح

القسّيس د. إدكار طرابلسي

إنّ يسوع هو "وسيط العهد الجديد" (عبرانيّين ١٢: ٢٤). لم يتركنا الكتاب المقدّس نحتار في مَن سيكون شفيعنا! يرتاح المؤمن ويطمئنّ إذ يعرف أنّه غير متروك أمام اللّه، وأنّ له شفيعًا يتوسّط له أمام إلهه. أمّا في العهد القديم، فنرى أنّ القدوم أمام اللّه كان مرعبًا ومهوبًا للغاية، فالنّبيّ موسى وقف في حضرة اللّه خائفًا ومرتعدًا. وكيف لا يخاف والجبل كان يضطرم بالنّار ويلفّه الضّباب والزّوبعة وهتاف بوق رئيس الملائكة؟ (عبرانيّين ١٢: ٢١). ومَن سيشفع فيه أمام اللّه الجالس في مكان لا يقدر الإنسان على الاقتراب منه؟ فهو القدّوس الجالس في النّور الذي لا يُدنى منه، والذي لا يراه أحد ويعيش بسبب بهاء مجده (خروج ٣٣: ٢٠؛ ١تيموثاوس ٦: ١٦). وإذ يُدرك الإنسان أنّ خطاياه تفصله عن إلهه، يقف حائرًا خائفًا ومتسائلاً عن السّبيل للدّخول أمام حضرة الرّحوم لنوال الرّحمة والغفران منه. يُعلن العهد الجديد بقوّة أنّ المسيح هو الوسيط الذي يشفع بالمذنبين، والذي يستطيع البشر التّرابيّون أن يقتربوا من اللّه بفضل شفاعته (١تيموثاوس ٢: ٥؛ ١يوحنا ٢: ١). فإلى اللّه يتوق الإنسان الذي يبحث عن الخلاص والبرّ والسّلام والحياة الأبديّة. وإذ يكتشف الإنسان أنّ المسيح هو ذاك الشّفيع المطلوب يفرح، إذ يجد "الباب" و"الطّريق" الذي يأتي به إلى اللّه. إنّ كلام المسيح على نفسه أنّه "الباب والطّريق" يجب أن يُطمئِن الإنسان (يوحنا ١٠: ٩). كثيرون في التّاريخ أعلنوا أنفسهم "بابًا وطريقًا"، والنّاس تعلّقوا بهم لأنّهم يبحثون عن وسيلة تردم الهوّة التي تفصلهم عن اللّه. لو نظرنا في حياة هؤلاء، لوجدنا أنّهم كانوا بشرًا اختبروا الخطايا، وهم أعجز من أن يقدروا على الوقوف أمام اللّه، حتّى عن أنفسهم. أمّا المسيح فهو "الباب والطّريق" إلى اللّه، لأنّه نزل إلى عالمنا من عند اللّه ولم يتلوّث بخطيّة واحدة، وفوق هذا قدّم دمه فداءً عن الخطاة ليُطهّرهم من خطاياهم، وإذ صعد لعند اللّه مُجدّدًا، وجد قبولاً، فأجلسه اللّه عن يمين عظمته ليشفع بالخطاة. "ولأجلِ هذا هو وسيط عهدٍ جديدٍ" (عبرانيّين ٩: ١٥).

حاجة النّاس إلى شفيع

يحتاج الخاطئ إلى شفيع كهذا، لأنّه أساء إلى اللّه بخطاياه ولا يقدر على القدوم إليه من دون وسيط يشفع فيه. وحده المسيح يقدر أن يشفع بالخطاة أمام اللّه. أمّا قدرته التّشفّعيّة هذه، فتنبع من برّه وكماله؛ فالتّجارب لم تنل منه ولا أحد يستطيع أن يلومه على أيّة خطيّة. وهي تنبع أيضًا من قدرته على "أن يُخلّص أيضًا إلى التّمام الّذين يتقدّمون به إلى اللّه إذ هو حيّ في كلّ حين

kalima-11.qxd 2/24/2008 10:05 PM Page 17

ليشفع فيهم" (عبرانيّين ٧: ٢٥). نرى أنّ المسيح "قادر على الشّفاعة" لأنّه "حيّ في كُلّ حين"، ووحده "القادر أن يُخلّص إلى التّمام" لأنّه المخلّص الوحيد. وهو قادر على أن يشفع بالخطاة إذ له "كهنوتٌ لا يزول" وهو "يبقى إلى الأبد" وبالتّالي شفاعته دائمة ومُستمرّة (عبرانيّين ٧: ٣، ٢٤). أمّا كهنوته فلم يكن من النّاس، ولا شفاعته. من المهمّ أن يعرف كلّ إنسان أنّ المسيح كاهن ليس على رتبة كهنة الأرض، إنّما كهنوته سماويّ يسمح له بأن "يظهر الآن أمام وجهِ اللّه لأجلنا" (عبرانيّين ٩: ٢٤). فهو رئيس الكهنة والقدّوس المنفصل عن الخطاة، الّذي اجتاز السّماوات وهو أعلى منها، وهو المعلَن بقسم إلهيّ "ابنًا مُكمّلاً إلى الأبد" (عبرانيّين ٤: ١٤-١٥؛ ٧: ٢٦-٢٨). وكابن مُقام من اللّه على بيت اللّه، يقدر على الدّخول أمام اللّه ليشفع بالخطاة. شفاعته لا تُردّ وهي غير منقوصة، بل قادرة على أن تُخلّص إلى التّمام جميع الّذين يطلبونها. طوبى للّذي يتقدّم من المسيح طالبًا شفاعته أمام الآب، فهو يجد قبولاً من اللّه، ولا تُرَدّ طلبته، ولا يرجع خائبًا، بل يجد أنّه قادر بالمسيح على أن يدخل بِدالّة البنين أمام الآب السّماويّ. من دون شفاعة المسيح لا يقدر الخاطئ على أن يدخل أمام اللّه.

لا يعترف جميع النّاس بأنّهم خطاة، وهذا مؤسف حقًّا. فكثيرون قد أعماهم الغرور حتّى راحوا يدّعون أنّهم ليسوا خطاة، وليسوا بحاجة إلى وسيط أو مُخلّص. غير أنّ الإنسان إذا نظر إلى أعماقه بإخلاص، وجد أنّه مليء بالخطايا الّتي تلوّث حياته وتمنعه عن الاقتراب من اللّه (إشعياء ٥٩: ٢). أمّا عادة الإنسان فهي أن يُبيّض صفحة حياته فيكذب على نفسه ويُطمئِن قلبه أنّه بارّ، أو على الأقلّ أنّه أبرّ من غيره. وهو يُقارن نفسه بالآخرين الّذين يظنّهم أقلّ منه شأنًا وطهرًا وتديّنًا. هذه مشكلة الفريّسيّ الّذي وقف في هيكل اللّه يشكره على أنّه أفضل من باقي النّاس، وأفضل من ذلك العشّار الّذي كان يُصلّي قربه. وما كان الفرق الحقيقيّ بين الفريّسيّ والعشّار؟ كلاهما كانا خاطئَين، إنّما أحدهما اعترف بخطاياه والثّاني لم يُقرّ بها، بل فضّل نفسه على غيره. مسكين هو الإنسان الّذي لا يعترف بواقعه، كيف يقبل أن يخدع نفسه؟ إنّ أبشع أنواع الخداع هو خداع الذّات، وكثيرون هم الّذين يشبهون الفريّسيّ فيخدعون أنفسهم والآخرين ببِرّهم الذّاتيّ وتديّنهم. وماذا ينتفع الإنسان من الخداع ومن التّغاضي عن حاجته إلى مَن يتوسّط له أمام اللّه ليتطهّر ويتبرّر ويتغيّر. إنّ الأمر يحتاج إلى تواضع واعتراف بالعجز عن القدوم إلى اللّه. كما يحتاج إلى الإقرار بأن لا شفيع بين اللّه والبشر سوى المسيح (١تيموثاوس ٢: ٥).

المسيح الشّفيع الوحيد

هذا الواقع يبيّن مشكلة أخرى عند عدد كبير من النّاس. فكيف يمكن أن يكون المسيح الشّفيع الوحيد؟ وماذا يفعلون بمَن آمنوا بهم كشفعاء، وقصدوهم في أوقات حاجاتهم لمعونة السّماء؟ وتُصَمّ الآذان ويتوقّف الفكر عن البحث في شفاعة المسيح الفريدة والوحيدة خوفًا من حذف أسماء أحبّاء ومُكرّمين. أعترف بأنّنا كلّنا يخاف من إعادة النّظر في ما اعتاد عليه من مقدّسات. لكن، هل فهمنا حقيقة الشّفاعة والوساطة أمام اللّه يؤدّي إلى إهانة أحدهم، أو خسارة امتياز ما؟ إنّ الموضوع الأساس يكمن في فهم ما يربط الإنسان بخالقه. فالإنسان مخلوق مباشرة من اللّه، وهو،

kalima-11.qxd 2/24/2008 10:05 PM Page 18

دون سـواه، سـبب وجـوده ومصدر تأمين كلّ احتياج (أعمال ١٧: ٢٥-٢٨). وإن كان للإنسان ما يطلبه من اللّه احتاج "للّه" ليتوسّط له مع "اللّه". هكذا يتكلّم بولس الرّسول على وسيط وحيد بين اللّه والنّاس، وهو في آن "إله واحد" و"إنسان واحد"، إنّـه يسوع المسيـح لا سواه (١تـيـمـوثـاوس ٢: ٥). فالمسيح، كونه "إله حقٌّ من إلـهٍ حـقّ" و"إنسـانٌ حـقٌّ مـن إنسان حقّ"، هو قادر على أن يلعب دور الوسيط الكامل عن البشر أمام اللّه. فبما له من طبيعة بشريّة غير فاسدة يُمثّل البشر أمام عرش النّعمة، وبما له من طبيعة إلـهيّة حقيقيّة يجد قبولاً كاملاً أمام اللّه عن الّذين يُمثّلهم. لا أحد يقدر على تمثيل البشر إن لم يكن إنسانًا، أو على الوقوف أمام اللّه إن لم يكن إلهًا. هذا هو المسيح الوسيط بين اللّه والنّاس، يشفع بهم لخلاصهم الأبديّ، ويشفع بهم في الآخرة، ويشفع بهم لحياتهم الأرضيّة. نسمع المسيح يطلب في صلاته التّشفّعيّة: "أيُّها الآب... من أجْلِهم أنا أسأل... ولستُ أسأل من أجلِ هؤلاءِ فقط، بل أيضًا من أجلِ الّذينَ يؤمنون بي بكلامِهم، ليكونَ الجميعَ واحـدًا، كـمـا أنّـكَ أنت أيُّـهـا الآبُ فيَّ وأنـا فـيك" (يوحنّا ١٧: ١، ٩، ٢٠-٢١). ونراه في السّماء يجلس عن يمين اللـه يشفـع بـالمؤمنين ويردّ عنهم شكاوى عدوّ النّفوس ويُغطّيهم بستر برِّه وبما له من استحقاقات عند الآب. لا أحد يقدر على أن يقوم بهذا الدّور سوى المسيح. والمسيح يقوم بالدّور كاملاً، ولا يحتاج إلى مَن يُعاونه فيه، ولا أحد يقدر على أن يُشاركه في شفاعته ووساطته، إذ هذا ينتقص من مجده وقدرته ودوره. ويجب بالتّالي تذكير بعضهم الّذي ينفر من موضوع حصريّة وساطة المسيح وشفاعته، حرصًا على احترام شفعائه، أنّ اعتبار وجود شريك آخر للمسيح في وساطته، يُقلّل من قيمة الوسيط الإلـهيّ المُعيَّن من اللّه وسيطًا للجميع. يُعلن يسوع بحزم: "أنا هو الطّريق والحقّ والحياة. ليسَ أحدٌ يأتي إلى الآبِ إلاّ بي" (يوحنّا ١٤: ٦). فالمجيء إلى المسيح لا يحتاج إلى وسطاء، ومن هنا نراه يدعو الجميع: "تعالوا إليَّ ... وأنا أريحكم".

إذًا، لا يحتاج الإنسان إلى وسيط آخر ليأتي بوساطته إلى المسيح، بل كلّ ما يحتاج إليه هو أن يتقدّم إلى المسيح الّذي يعِده بحنوّ: "مَن يُقبِل إليَّ لا أخرجه خارجًا" (يوحنّا ٦: ٣٧). عندها يتكفّل المسيح بالباقي، إذ يأخذه إلى الآب ويُقدّمه إليه بشفاعة فعّالة ومضمونة وفريدة. بعدها يتشجّع المؤمن، إذ يكتشف ما للمسيح من مكانة أمام الآب، وما له من قدرة على التّوسّط لأحبّائه، وما لاسمه من فعاليّة تجعل الصّلوات المرفوعة به تخترق أذن اللّه في كلّ حين (يوحنّا ١٦: ٢٣-٢٤). يُحدّد بطرس الرّسول أن ليس اسم آخر تحت السّماء، قد أُعطيَ بين النّاس، به ينبغي أن نخلص (أعمال ٤: ١٢). وهكذا، نرى ما للمسيح من موقع فريد عند الآب. إنّ الحكيم هو مَن يستفيد من شفاعة المسيح ووساطته لحياته الأرضيّة ولخيره الرّوحيّ. أمّا مَن يبقى بعيدًا، ويختار طريقًا آخر، فيخسر. إنّ مَن يأتي إلى المسيح يأخذ منه "نعمة فوق نعمة"، تبدأ بنعمة الخلاص، وتليها نعمة البنوّة، ومعها نعمة استجابة الصّلوات، وكلّ عونٍ نحتاج إليه عندما نضعف، ونِعَم أخرى كثيرة أيضًا (عبرانيّين ٤: ١٤-١٦).

طلب شفاعة المسيح

هذه الشّفاعة، يجب ألاّ تبقى عقيدة إيمانيّة يعتنقها الإنسان وحسب، بل يجب أن تكون مُحرّكًا للمؤمن ليتقدّم

في طلب شفاعة المسيح. وكلّما تقدم المؤمن في حياة الصّلاة، اختبر المواعيد الأفضل الّتي يؤمّنها "وسيط العهد الجديد" (عبرانيّين ٨: ٦). هكذا يختبر المؤمن قوّة شفاعة يسوع، وامتياز الطّلب إليه، فيثبت قلبه مطمئنًّا، ويسعد في حياته إذ له وسيط يشفع به أمام اللّه، وبهذا يزداد المؤمن صلاةً وتسبيحًا واتّكالاً على إلهه (١تيموثاوس ٢: ١–٥). هكذا عاش الرّسل والقدّيسون عبر الأجيال. وجيلنا يتقوّى روحيًّا إذ يعرف أنّ "يسوع المسيح هو هو أمسًا واليوم وإلى الأبد"، وهو لا يتغيّر بل يبقى في خدمة مَن يطلبه (عبرانيّين ١٣: ٨). إنّ فتور حياة النّاس الرّوحيّة وجهلهم لدور المسيح التّشفّعي، يجعلهم يُكابدون آلام النّفس واليأس والهموم، على الرّغم من كلّ الوسائل الّتي يظنّون انّها تُسهّل حياتهم. أمّا مَن يعرف وساطة يسوع ويختبر قوّتها، فينعم بحياة مباركة يُتوّجها رضى اللّه. المهمّ أن يطلب الإنسان شفاعة يسوع، ولا بدّ من بداية لهذا الطّلب. قد يستصعب بعضهم البدء بما لم يَعْتَده، لكنّه حالما يبدأ بالصّلاة للمسيح، يكتشف كم هو قريب ممّن يطلبه، وكم أنّ حضوره حقيقيّ، فيطلب المزيد، بل يطلب الجلوس معه بلا انقطاع. يقول الرّبّ لطالبيه: "تطلبونني فتجدونني إذ تطلبونني بكلّ قلبكم" (إرميا ٢٩: ١٣).

لا شكّ في أنّ ما كتبه الشّاعر سليمان ضومط في القرن التّاسع عشر، عن ثقته بشفاعة يسوع، يشجّعنا، فنقول معه:

إن أصابتني الرّزايا … وانتفى عنّي الرّفيق
وأحاطت بي البلايا … واختفى عنّي الصّديق

فيسوعُ الرّبّ نوري … وضِيائي في الظّلامُ
وهو حظّي وسروري … وهو شمسي والسّلامُ

إن تَرُمْ نفسيَ شوقًا … لِسَما الخُلدِ الوصول
فاسمُ يسوعَ شفيعي … وبهِ أرجو الدّخول

حيثُ يجلو لي بهاهُ … وسَناهُ كُلَّ حين
وبِلُقياهُ سأحظى … بِنَعيمِ الخالدين

هل يخلص الطفل الّذي يموت؟

لاهوت الرّجاء للأطفال

د. بيتر ماسترز

يُبرهن عدد كبير من الآيات في الكتاب المقدّس أنّ دينونة اللّه هي على الخطايا الفعليّة الّتي يقترفها الإنسان في حياته. وهي أيضًا تُحاسب الخاطئ على مقدار النّور في داخله. وهذا ما يؤكّده الرّسول بولس في الإصحاح الثّاني من رسالته إلى أهل رومية.

لكن، ماذا عن أولئك الّذين لم يسمعوا عن شريعة اللّه أو النّاموس؟ يقول الرّسول بولس إنّ هؤلاء هم ناموس لأنفسهم، وهو مكتوب في قلوبهم، وضمائرهم وأفكارهم شاهدة على ذلك (رومية ٢: ١٤–١٥). وهو يؤكّد أنّ دينونة اللّه على الأمم هي بناء على الوعي الأخلاقيّ الّذي زرعه في قلوبهم. إنّ هذا المقطع من الكتاب المقدّس يُثبت أنّ الخطايا الفعليّة الّتي يقترفها إنسان ذو وعي أخلاقيّ، هي أساس دينونة اللّه.

من الواضح إذًا، أنّ الأطفال لن يُدانوا على الأساس نفسه من دينونة اللّه، لأنّهم غير واعين أو مسؤولين عن تصرّفاتهم، بل قد ورثوا الفساد والخطيّة. وإن كان اللّه لن يدينهم، فخطاياهم الموروثة يكفّر عنها المسيح بدمه (١كورنثوس ١٥: ٢٢). وهكذا، يتمّ المكتوب في حزقيال ١٨: ٢٠ "النّفس الّتي تُخطِئ هي تموت. الإبن لا يَحمِل من إثم الأب".